مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267
العـدد: 09 ص 11– 38

تاريخ الاستلام: 2020/08/09 تاريخ القبول: 2020/11/15

الوباء بين العقوبة والدواء من منظور الإنسان البدائي خلال عصور ما قبل التاريخ

زينب عبد التواب رياض خميس، أستاذ مساعد بقسم الآثار المصرية –كلية الآثار – جامعة أسوان – مصر
nfrtkmt77@yahoo.com

ملخص:

اعتقد الإنسان البدائي خلال عصور ما قبل التاريخ أن الوباء أو المرض عقوبة تستحق التوبة، وكانت التوبة من منظورهم البسيط تتمثل في الإتيان ببعض الممارسات التي تتلخص إما في تقديم نوع من القربان، أو أداء بعض الطقوس السحرية من خلال القيام ببعض الرقصات الخاصة أو بتقمص هيئات تتشابه مع رموز طوطمية خاصة بالقبيلة المنتسب إليها.

ويعد موضوع الطب والعلاج البدائي من أهم الموضوعات التي ارتبطت بالسحر في عصور ما قبل التاريخ، ولذا يصعب دراسة الموضوع الأول دون دراسة الموضوع الثاني، ولاشك أن الوسيط بين الموضوعين والعامل المشترك بينهما هو طبيب القرية أو ساحر القرية أو العراف، وجميعها مسميات للقائم بعملية المعالجة والمداوة، والذي كان في البداية يعتمد على السحر والإيحاء قبل الاعتماد على المداوة بالعلاج والجراحة، وإن كان هذا لا ينفى معرفة انسان عصور ما قبل التاريخ للعمليات الجراحية البسيطة بل والقيام بها أحيانا كثيرة باستخدام بعض الأدوات الحجرية، ولقد ثبت ذلك من خلال الأدلة الأثرية والأدوات الحجرية التي عثر عليها في بعض المقابر والمواقع الأثرية.

ومن ثم فالدراسة تُلقي الضوء على الداء وعلاجه في عصور ما قبل التاريخ، وتقدم إعادة تفسير للعديد من الأدلة الأثرية المرتبطة بهذا الموضوع، من وجهة نظر قد تكون جديدة ومختلفة الى حد ما، وذلك من خلال المقارنة بين ما عثر عليه من أدلة أثرية، وبين بعض الممارسات الحالية المشابهة لطبيب القرية أو الساحر في بعض القبائل البدائية حتى يومنا الحالي.

الكلمات المفتاحية: الوباء، العقوبة، العلاج الروحي، الطقوس، رقص الغيبوبة، الدواء.

المنارة للاستشارات
ww

The Pandemic between punishment and Medication during The early man Life.

Zainab Abd El-twab Riyad, Assistant Professor- Department of Egyptology- the Faculty of Archaeology- Aswan University – Egypt.
nfirtkmt77@yahoo.com

Abstract:

Medicine and primitive therapy are among the most important topics associated with magic in prehistoric times, so it is difficult to study the first subject without studying the second topic, there is no doubt that the mediator between the two issues and the common factor between them is the doctor village, or the Village Wizard, or "Shaman", All names for the process of treatment and healing. Medicine was initially based on magic and spirituality before relying on medication therapy and surgery, although a prehistoric man knew how to perform simple surgeries using some stone tools, this has been proven by archaeological finds and stone tools which were found in some tombs and archaeological sites. There are many tools that had been attached to the magician doctor in prehistoric times, including masks and horns and some animal parts and some stone tools, these primitive tools were used since prehistoric times by the early doctor, and it is still used in primitive tribes.

Thus, the study shed light on the role of the magician in prehistoric times, to provide a reinterpretation of many of the archaeological finds associated with this subject, with a view that may be new and somewhat different, by comparing the findings of archaeological evidence, with some similar current practices which is followed in some primitive tribes so far.

Keywords: Doctor, magician, spirituality, ritual instruments, masks, unconsciousness, drugs, surgery.

المنارة للاستشارات
ww

1– مقدمة :

اعتقد الإنسان الأول أن المرض والألم الذي يعاني منه يحدث له بسبب الآثام التي ارتكبها، أي كنوع من العقاب، أو بسبب غضب الإله والأرواح الشريرة، وكان العلاج يتمثل في القيام ببعض الطقوس والرقصات الشبيهة بطقوس "الزار" في عصرنا الحالي.

وإذا ما رغب المرء في رؤية الماضي فما عليه الا أن يتصفح مواقع عصور ما قبل التاريخ بمختلف الأماكن لا سيما مواقع القارة الأفريقية، ويتأمل عادات وتقاليد بعض القبائل البدائية التي لا زالت تمارس الكثير من الموروث الغائب، وتعيش حياة انسان عصور ما قبل التاريخ بكل مفرداتها؛ سواء في المأكل، أو الملبس أو حتى الطب والعلاج.

نشأت المداواة مع الألم، والألم من الأمور التي لا بد وأن لازمت الانسان منذ ولادته، ومن ثم تفنن الانسان في المعالجة منذ بداية آلامه في الغابات والبراري، واعتمد في ذلك على التجربة والملاحظة1، ولقد حاول الإنسان منذ فجر التاريخ أن يعالج نفسه بنفسه من الأمراض بتناوله ما قدمته له الطبيعة من حوله، ولا تزال بعض القبائل البدائية في أدغال أفريقية تحتفظ بأدويتها وعقاقيرها الخاصة بها تتوارثها جيلا بعد جيل بالخبرة والتجربة 2.

ولقد اقترن العلاج في عصور ما قبل التاريخ بممارسات عده كان من بينها (تقديم الأضاحي والقرابين؛ استخدام التمائم وترتيل التعاويذ؛ استخدام الأعشاب ذات الروائح الكريهة النفاذة لطرد الأرواح الشريرة؛ استخدام الأقنعة لإخافة الأرواح الشريرة؛ استخدام الأصوات العالية سواء بقرع الطبول والنفخ بالبوق أو التصفيق وأرسال الأصوات العالية والمزعجة) والتي توحي بالدخول في عالم من الغيبيات لا يخلو من رهبه.

---

[1] -Sutcliffe, J., & Duin, N., prehistoric health, in: A History of Medicine from prehistory to the year 2020, New York, 1992, PP.10-11.

[2]– رياض رمضان العلمي، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم، الكويت، 1988، ص 15.

المنارة للاستشارات
ww

2- الطب البدائي:

كان طبيب ما قبل التاريخ هو المعالج الروحاني والساحر، وهو المسيطر على الأرواح الشريرة المسببة للمرض، ولقد استمر الدور الروحاني للطبيب في عصور ما قبل التاريخ على هذه الوتيرة حتى يومنا هذا في العديد من المجتمعات البدائية، ويمكن تكوين صوره واضحة عن الطبيب آنذاك من خلال الرسوم والنقوش الصخرية التي وجدت في العديد من المواقع الصخرية والكهوف.

ولقد عرف العلماء الطبيب في عصور ما قبل التاريخ بـ "العرّاف أو الشامان"، ويعتقد أن الشامانية كمنظومة علاجية قد نشأت في أفريقيا في نهاية العصر الحجري القديم (نهاية مرحلة الجمع والالتقاط) وبداية العصر الحجري الحديث، وقد ظهرت دلائل الشامانية بوضوح في الفن الصخري بجنوب أفريقيا، على الرغم من أنه لا يزال هناك الكثير من الجدل حول التأريخ المحدد[3].

وتشتمل الشامانية على مجموعة واسعة من المعتقدات والمبادئ وآليات العلاج التي تم ممارستها منذ آلاف السنين، ويستند نظام الشفاء على الاعتقاد التقليدي بأن أرواح الأجداد موجودة باستمرار بين الأحياء وتتدخل في أعمالهم، ولذلك فإن دور الشامان هو التوسط بين هذه الأرواح عندما يؤدي تدخلهما إلى مآسي داخل المجتمع، وعادة ما تأتي هذه الوساطة في شكل طقسي فريد من نوعه لكل ثقافة، بما في ذلك الأغنية، والطبول، والتصفيق، والرقص، والغيبوبة، واستخدام الأدوية، ومجموعة متنوعة من العروض الأخرى[4].

ويتلخص دور الطبيب الساحر "الشامان" في تحقيق المعرفة والتواصل مع الأرواح، وصولاً في نهاية المطاف الى الشفاء، وهي رحلة طويلة وشاقة في كثير من الأحيان ويمكن تتبع مظاهرها من خلال ما يتم القيام به من ممارسات طقسية تدخل في إطار أنظمة الشفاء المختلفة التي تُمارس في العديد من المجتمعات الأفريقية الحديثة لا سيما في جنوب أفريقيا[5]. وتعد قبيلة البوشمن الموجودة بصحراء كلهاري من أكثر قبائل جنوب أفريقيا ممارسة

---

[3] - Ewis-williamts, D., Dowson, T. H., & Deacon, J., Rock art and changing perceptions of southern Africa's past: Ezeljagd spoort reviewed, Antiquity, 67, 1993, p.288.

[4] - Lahelma, A., A Touch of Red: Archaeological and Ethnographic Approaches to Interpreting Finnish Rock Paintings, Suomen Muinaismuistoyhdistys ry - Finska Fornminnes föreningen rf The Finnish Antiquarian Society, ISKOS, 15, Helsinki, 2008, P,51.

[5] - Ibid., P.51.

المنارة للاستشارات
ww

للسحر والعلاج الروحي[6] ولقد أثبتت العديد من الدراسات وجود علاقة وطيدة بين الرسوم الصخرية للبوشمن وبين ممارسات شامان البوشمن في القرن التاسع عشر[7].

ورغم أهمية دور الشامان كطبيب روحاني وعراف أو ساحر للقبيلة الا أن لدوره سلبيات لم ينجو منها، فهناك من يراه وسيط بين العالم الآدمي وعالم الروح أو عالم الغيبيات، وهناك من يرى أن علمه بالسحر قد يكون سبب للشرور والآثام، وهذا ما أدى الى دفنه أحيانا فيما عرف بالدفن الشرير كنوع من القضاء على سحره[8].

ففي حضارتي المايا والأزتك تعتقد قبيلة كواكيوتل Kwakiutl أن الشامان بمقدوره السيطرة على الطبيعة الثنائية لحياتهم، فمن خلال ارتداء الشامان للقناع سواء كان قناع حيوان أو طائر أو كائن خرافي؛ ومن خلال الرقص الطقسي الذي يشترك فيه الشامان وبعض الأفراد والأشخاص المضحى بهم، يدخل الشامان عالم اللاوعي فيسيطر على (عالم البشر وعالم الروح)، ودور الشامان في ذلك هو التوسط بين القسمين؛ البشر الذين يتم التضحية بهم وفي نفس الوقت يشاركون في فعل القوة الخارقة بالعبور بين العالمين وينتهي به الأمر أن يُضحى بهم فيحصلوا بذلك على هوية الخارق[9].

وفي جواتيمالا Guatemala نرى الشامان وقد وقع بين شقي الرحى، فرغم أهمية دور الشامان الساحر في أداء مختلف الطقوس الشعائرية، الا أن حياته لا تخلو من عقاب، فأي ضرر أو أذى يلحق بأي شخص يأتي الاعتقاد بدور السحر في ذلك، ويتلقى الشامان عقاب (سواء كان رجل أو سيدة) بقتله أو تعذيبه ثم دفنه بطريقة أو بأخرى كنوع من إنزال العقاب وذلك كما يتبين في (الشكل:1)[10] ويعرف هذا الدفن في جواتيمالا بـ "الدفن

---

[6] - Ewis-williamts, D., Op.cit., p.288.

[7] - Lewis-Williams, D., Rock art and ritual: Southern Africa and beyond, Complutum, 5, 1994, P.278.

[8] – Lucero, L.J., & Gibbs, S.A., The Creation and Sacrifice of Witches in Classic Maya Society, in: (Vera Tiesler & Andrea Cucina, ed.,) new perspectives on human ritual sacrifice and ritual body treatments in ancient Mayan society, 45- 73, New York, 2007, P.45.

[9] – Lukaschek, K., The History of Cannibalism, Thesis submitted in fulfilment of the MPhil Degree in Biological Anthropology, University of Cambridge, UK, Lucy Cavendish College, 2000/2001, P.11.

[10] - Lucero, L.J., & Gibbs, S.A., Op.cit., P.45.

المنارة للاستشارات
ww

الشرير" وهي دفنات تتم طقوسها لديهم داخل الكهوف (أو في المقابر) وذلك لارتباط الكهف في اعتقادهم بالسحر، فهي أرض الرب أو المجال الذي تلتقي فيه الأرواح، وفيه يسهل قيام الساحر بتأدية طقوسه السحرية[11].

ولقد كانت للكهوف والمآوي الصخرية عند شعب المايا أهمية كبرى، إذ ارتبطت بالممارسات السحرية والطقوس الشعائرية التي تؤدى لمختلف الآلهة[12] وكانت أشهر الكهوف هناك: كهف جولجا Golga Cave، وكهف ناج تنيش the Natnish Cave، كهوف كانديلاريا Candelaria cave وكهف الساحرة، هذا بخلاف الكهوف الأسطورية التي كان يُعزى اليها الاستخدام السحري عند المايا. وكان مأوى الوادي العميق من أهم وأكبر المأوى الصخرية في Belize بالمايا، اذ تبلغ أبعاده 58 متر طولا، بعمق 15 متر، ولقد شهد هذا المأوى العديد من مراحل الاستيطان، وعثر في أرضيته على العديد من الأدوات الحجرية صغيرة الحجم، مما يؤكد وجود صلة تربط بين الكهوف والمآوي الصخرية، وصناعة الأدوات الحجرية[13].

2- المحاكاة كعلاج بالسحر:

لعب السحر دور منظم الحياة والمحرك لها لدى العديد من القبائل البدائية بأفريقيا، وذلك من خلال طقوسه المختلفة التي كان الغرض منها تفادي قوى الطبيعة والأرواح وتفادى شر المجهول والخوف والأمراض والاعداء، وكان الساحر يتصور أن في استطاعته إحداث أي تأثير عن طريق المحاكاة، وذلك من خلال صنع دمية مشابهة لهذا الشخص وقراءة بعض التعاويذ عليها حيث يتأثر بها شبيهها الأصلي نتيجة للترابط المعنوي، وهو يستنتج أيضا أن أي شيء يفعله بالأشياء المادية سوف يحدث تأثيراً مماثلا على الشخص المقصود[14].

3- النار والعلاج الروحي:

---

[11] - Lucero, L.J., & Gibbs, S.A., Op.cit., P.50.

[12] - Stemp, W.J., Wrobel, G.D., Haley, J., & Awe, J.J., Ancient Maya stone tools and ritual use of Deep Valley Rockshelter, Belize. Journal of Cave and Karst Studies, v. 77, no. 1, 2015, p. 1.

[13] - Ibid., PP. 4-5.

[14] - سليمان محمود، الأشكال التشخيصية في السحر الشعبي، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 57/56، 1997، ص 78.

المنارة للاستشارات
ww

كان للنار أهميتها في الديانة الزرادشتية، وهي واحدة من الديانات الوضعية التي تعتمد على العلاج الروحي للمرضى، اذ رأى زرادشت الذي نسبت اليه الديانة الزرادشتية أن طقوس النار القديمة هي رمز النور والقانون الكوني للإله، واعتقد أصحاب تلك الديانة أن الماء والهواء والنار والتراب عناصر طاهرة وقدسوا النار خصوصاً، واتخذوها رمزاً إلى جانب الشمس" لقوة الإله"، ولذا حرصوا على بقاء شعلة النار مشتعلة في هياكلهم بالمعنى الرمزي والمعنوي، وكانوا يقدمون لها وقوداً من خشب الصندل، وأخشاب عطرية أخرى، فتعبق الهياكل بروح قدسية فيها النشوة والطهر والخلود[15]. وتمارس في هياكل النار طقوس وممارسات شعائرية الغرض منها التقرب الى الإله "أهورا مازدا"، ويتحتم على الكهنة الذين يمارسون طقوس النار في هياكلهم أن يشعلوا ويراقبوا ويطهروا النار المقدسة، ويزودونها بخشب الصندل، وهم يتلون الصلوات والأدعية وأفواههم مغطاة – مثل الأطباء – خشية أن تتنجس النار المقدسة من أنفاسهم[16].

وقد ظهرت لدى قبائل البوشمن بجنوب أفريقيا أدلة تقديس النار ودورها في علاج المرضى وطرد الأرواح الشريرة، إذ تُؤدى هناك طقوس معينة من قبل الطبيب الروحي" الشامان "في وجود مجموعة كبيرة من الرجال والنساء، يقومون بالرقص في حلقات حول النار على صوت الطبل والتصفيق والإيقاع الموسيقي فيما يُعرف بـ "الرقص الطقسي أو السحري"[17].

4– الأرواح الشريرة والعلاج الروحاني:

اعتقد انسان عصور ما قبل التاريخ أن الأمراض التي كانت تصيبه لابد من أن سببها الأرواح الشريرة، فكان لابد له من اللجوء إلى السحر، والاستعانة بالتعاويذ والتمائم لطرد هذه الأرواح الشريرة التي كانت تسكن جسم المريض، وترتب على ذلك ظهور السحرة والكهنة الذين استغلوا بساطة الإنسان البدائي فجربوا عليه مختلف أنواع الأدوية، ولتهدئة هذه النفوس والأرواح الشريرة التي طغت عليه وعلى حياته اضطر الإنسان القديم إلى تقديم

---

[15]– بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، الكويت، 1993، ص 104.

[16]– سعد حبيب، أديان العالم، القاهرة، (د.ت)، ص 158.

[17] - Peters, L. G., Shamanism: phenomenology of a spiritual discipline, The Journal of Transpersonal Psychology, Vol. 21, No.2 115, 1989, P.118.

المنارة للاستشارات
ww

القرابين إليها وحمل التمائم. كما لجأ إلى تغيير اسمه لخداع الأرواح الشريرة متوهما أن ذلك يساعده على التخفي والتخلص منها، وفريق آخر اعتقد أنه لو طلى الواحد منهم جسمه بألوان كثيفة ومختلفة تنصرف عنه الأرواح الشريرة فيصبح في مأمن منها، وهذا ماُ يفسر سبب تخطيط بعض القبائل الأفريقية لوجوههم وأجسادهم[18].

وهكذا اقتُرن الطب بالسحر في عصور ما قبل التاريخ سواء في مصر أو أفريقيا، فقد كان المصريون القدماء في العصور المبكرة يعتقدون أن المرض لا يعدو أن يكون سوى ظاهرة "ما فوق طبيعية"، أو بالتحديد إن روح شريرة (روح أحد المتوفين على سبيل المثال) قد استولت على جسد إنسان ما من الأحياء واستحوذت عليه، ولذا كان للتمائم والتعاويذ السحرية أهميتها ودورها في القضاء على الآلام والأوجاع[19].

وأساس العلاج الروحاني في عصور ما قبل التاريخ يتمثل في جذب الطاقة الروحية واسترضاء الأرواح، فقد يشخص الطبيب الساحر "الشامان" السبب وراء مرض شخص معين الى الأرواح الشريرة، ومن ثم يكون العلاج هو ضرورة إرضاء الروح غير الراضية[20]. ولقد عرفت مصر وأفريقيا ذلك النوع من العلاج منذ عصور ما قبل التاريخ[21]، وهذا ما أكدته النقوش الصخرية في مصر والعديد من مواقع القارة الأفريقية تفاصيل ممارسات مثل هذا العلاج الروحي، ففي كهف السباحين بهضبة الجلف بالصحراء الغربية عثر على العديد من المناظر التي عبرت عن حالات الانتقال الروحي بين الانسان والحيوان في رحلة العلاج الروحي، وقد عبر الفنان عن ذلك برسوم تنوعت ما بين هيئات بشرية سابحة في الفضاء، وأخرى تتجه نحو حيوان صور بحجم كبير، وتلاعب بالألوان وقد تنوعت حركاتهم وأوضاعهم بما يوحي بقيامهم برقصات عشوائية، جعلتهم في حالة أشبه باللاوعي، ولقد أُرخت هذه المناظر بالعصر الحجري الحديث[22].

---

[18] – رياض رمضان العلمي، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، الكويت، 1988، ص 16.

[19] – عبد المنعم سيد أحمد، الأطباء في مصر القديمة، المؤتمر الدولي الرابع بعنوان الفكر في مصر عبر العصور، المجلد الثاني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، 2013، ص 1.

[20] - Peters, L. G., Op.cit., P.118.

[21] - D Forrest, R., Early history of wound treatment, Journal of the Royal Society of Medicine, Volume 75, March 1982, PP.199-200.

[22] - Ibid., p.54, fig.6.

المنارة للاستشارات
ww

وفي شمال أفريقيا وضحت أيضا هذه الممارسات من خلال الرسوم والنقوش الصخرية بمنطقة تاسيلي بالجزائر وقد تميز الفن الصخري أيضا في سان بجنوب أفريقيا بتصوير الطبيب الساحر برفقة بعض المخلوقات الأخرى ذات هيئات تجمع بين البشرية والحيوانية، وحيوانات عديمة الرأس ووحوش وأشخاص تمثل الروح، في مسرحية استعراضية تُدخلك في طيات رحلة العلاج لتشاهد تفاصيلها[23].

وتأكدت أدلة ذلك من خلال النقوش الصخرية التي عثر عليها في صحراء كلهاري بجنوب أفريقيا[24]، واكتملت الصورة من خلال ما عثر عليه في غرب وشرق أوروبا من أدوات موسيقية من عظام الطيور، وقرون ماشية استخدمت لإصدار أصوات، وهي تؤرخ بالعصر الحجري القديم الأعلى[25]، ومن خلال هذه الرقصات المصحوبة بالدق والطبل والتصفيق والأصوات المختلفة كانت تُؤدى مجموعة متنوعة من العروض لجلب الروح بقوة في وسط الناس بحيث تكون قادرة على المساعدة، هذه الأعمال توثق الارتباط الضروري بعالم الروح[26]. وكان للدم دور وأهمية قصوى في طقوس وممارسات البوشمن، إذ كانوا يعتقدون أن رائحة الدم لها صلة بجذب الأرواح، ومن ثم اقترنت تلك الممارسات أحيانا بتقديم الأضاحي والذبائح، إذ اعتقدوا كذلك أن الشفاء الروحي والطاقة أو القوة الروحية إنما تكتمل بهذه الممارسات جميعا[27].

5– العلاج الروحي والدوائي (النباتي والحيواني):

أما بالنسبة للعلاج الطبي فقد جمع الطبيب الساحر "الشامان" فيه بين المكونات المادية والطاقة الروحية، فمن خلال تأثير الأدوية التي غالباً ما تتضمن (مواد من أصل حيواني ونباتي وأصل معدني ومواد عشبية) تأتي القيمة

[23] - Maggs, T., Cartographic Content of Rock Art in Southern Africa, in Woodward, D., & Lewis, T., (eds.), Cartography in the Traditional African, American, Australian and Pacific Societies, Vol.2, Book 3, Chicago, 1998, PP13-15.
[24] - Lewis-WilIiams, D., Reality…, Op.cit., P.21.
[25] - Lewis-WilIiams, D., Rock…, Op.cit., P.286.
[26] - Hoppàl, M., shamans and symbols prehistory of semiotics in rock art, Budapest, 2013, P.31.
[27] - Peters, L. G., Op.cit., P.123.

المنارة للاستشارات
ww

الطبية[28]، ومن خلال الطاقة الروحية المستمدة من الوسيط الروحي الذي يفسر المرض تكتمل رحلة العلاج، حيث يتم خلط القيمتين في واحد للحصول على العلاج المناسب، فإن العلاقة لا تزال تتكون من المفسر الذي يتم إخباره بطبيعة المرض من خلال التواصل مع الأرواح، والمعالج الذي يرشده للدواء المناسب قد يحدث فصل بين الشخصين في بعض المجتمعات، وفي بعض المجتمعات الأخرى يكون هو نفس الشخص معالج ووسيط روحي معا[29].

ومن النادر أن تجد في الممالك الحيوانية والنباتية والمعدنية شيئا لم يستخدمه الإنسان يوما ما عبر التاريخ الطويل لمعالجة أمراضه كمسحوق قرن غزال أو مخلب حيوان أسطوري، أو فضلات الكلاب الجافة حتى بول الأطفال والإبل[30].

ولقد استطاع الإنسان البدائي أن يكتشف بوسائله البسيطة وغريزته الفطرية البدائية عددا من المواد الطبيعية استخلص منها عناصر علاجية قوية المفعول، كما تمكن الإنسان الأول من أن يدافع عن نفسه ويحميها من الحشرات السامة والحيوانات المفترسة ويضمد جراحاته وكسوره[31].

ولقد استخدم الانسان المنتجات الطبيعية مثل النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة والكائنات البحرية بل والحشرات، في الأدوية لتخفيف وعلاج الأمراض منذ عصور ما قبل التاريخ، فقد استخدمت القبائل البدائية في الأمريكتين منذ وقت مبكر لدغات بعض أنواع النمل لحماية الجروح من العدوى؛ تُمسك النملة فوق الجرح حتى تعضُّه، حيث يمكن إزالة رأسها والسماح للقراضة أن تبقى باستمرار لإغلاق الجرح[32].

ويمكن تتبع الاستخدام البشري للنباتات كأدوية على الأقل منذ 60000 سنة، وبالطبع كانت الصدفة والتجربة وقتها هي المرشد، ولا شك أنه كان هناك آثار جانبية سيئة حدثت عند استخدام هذه المنتجات الطبيعية

---

[28] - Podolecka, A., Sangomas, Shamans and New Age: The Hybridity of some Modern Healing and Esoteric Practices and Beliefs in South Africa, Rocznik Orientalistyczny, T. LXIX, Z.1, 2016, P.147.

[29] - Peters, L. G., Op.cit., PP.118-119.

[30] – رياض رمضان العلمي، المرجع السابق، ص 16.

[31] – نفسه، ص 16.

[32] - Gudger، E. W., "Stitching Wounds with the Mandibles of Ants and Beetles", in: Journal of American Medical Association, Vol.84, No.24, 1925, pp.1861-1864.

المنارة للاستشارات
ww

كأدوية، فقد شكل ذلك تحديا هائلا للإنسان في ذلك الوقت المبكر، فمن المحتمل جدًا أنه قد استخدم أحياناً عن غير قصد نباتات سامة أدت الى التقيؤ أو الإسهال أو الغيبوبة أو ربما حتى الموت، ومع ذلك فقد كان الانسان في ذلك الوقت المبكر قادر على تطوير المعرفة حول المواد الصالحة للأكل والنباتات الصالح استخدامها كأدوية طبيعية، وفي وقت لاحق اخترع الإنسان النار، وتعلم كيفية صنع العديد من أنواع الأدوية الجديدة[33]. وكان التأمل وشدة الملاحظة من أولى الأسباب التي دعت الانسان البدائي الى استخدام العلاج النباتي، فقد اعتقد الانسان في عصور ما قبل التاريخ أن النبات الذي تشبه جذوره شكل الإنسان –مثلا– لابد من أن يشفي من جميع الأمراض، وأن ورقة نباتية تشبه الكبد تشفي من أمراض الكبد، وأن ثمرة نبات تشبه القلب فلابد من أنها تنفع في معالجة القلب وأمراضه وانفعالاته، أما إذا اهتزت ورقة النبات بحركة معينة فلا شك من أنها تنفع في معالجة الرجفة، أما إذا نما النبات على الصخر فهو يفتت حصى الكلى والمثانة!![34]

وكان من أهم النباتات العلاجية وأكثرها خطرا شجرة "السنكونا" التي يحوي لحاؤها مادة الكينين، الذي مازال هو ومشتقاته حتى الآن مستعملا في معالجة مرض الملاريا وتخفيض درجة الحرارة[35]. وربما كانت قصة الدواء الطبيعي (النباتي والحيواني) قد عُرفت في مصر منذ الألف الخامس ق. م[36]، وإن كانت قصة ذلك غير واضحة المعالم، وكان من بين أهم الأدوية النباتية التي عُرفت في مصر نبات الثوم، ولقد كان نبات الثوم من النباتات ذات الرائحة النفاذة، والتي استخدمت لطرد الأرواح الشريرة، واستخدم أيضاً لطرد الثعابين والعقارب بسبب رائحته، وفي الطب يعتبر من مضادات البكتريا ويصلح لعلاج العديد من الأمراض[37].

---

33 - Haidan Yuan, H., Ma, Q., Ye, L., & Piao, G., the Traditional Medicine and Modern Medicine from Natural Products, Molecules, 2016, P.1.

[34]– رياض رمضان العلمي، المرجع السابق، ص 16–17.

[35]- نفسه، ص 16–17.

36 - Subbarayappa, B.V., The roots of ancient medicine: an historical outline, J. Biosci., Vol., 26 , No. 2 , June 2001, P.135.

[37]– ليز مانكه، التداوي بالأعشاب في مصر القديمة، ط2، مترجم، القاهرة، 2008، ص 146–147.

المنارة للاستشارات
ww

6- الطب التقليدي:

ولقد اكتملت الصورة بشأن الطب والتداوي البدائي من خلال الموروث الشعبي الذي لازال متواجداً لدى العديد من القبائل البدائية الأفريقية لا سيما في جنوب أفريقيا[38] فمثلاً تعتقد قبيلة خويسان بجنوب أفريقيا أن الأطفال يمكن أن يكتسبوا القوة إذا ما كان أول طعامهم من بيض النعام، وللطبيعة من حولهم دور في اكتساب الفرد صفات معينة صحية وجسمانية، فإذا ما ولد الطفل في وقت هبوب الرياح وسقوط الأمطار كان في مقدوره أن يتحكم في سقوط المطر أو تغيير مسيرة حركة الرياح [39]وعن المعالج التقليدي في جنوب أفريقيا فهو من يمارس الطب الأفريقي التقليدي هناك[40] ، ويقوم بالعديد من الأدوار الاجتماعية والسياسية المختلفة في المجتمع كالرجم بالغيب وتضميد الجراح والعلاج الروحي[41]، وهو أيضاً من المعالجين بالأعشاب ويُعرف باسم " sangomas" "سانجوماس"[42].

7- العلاج الجراحي وأدواته:

لا شك أن الانسان طوال رحلته الأولى على سطح الأرض كان قد تعرض لحوادث أو أخطار أدت الى حدوث إصابات أو كسور أو جروح، ولقد عرفت العديد من شعوب عصور ما قبل التاريخ إصلاح العظام المكسورة باستخدام المواد الطينية، إذ كانت تُغطَّى المنطقة المصابة بالطين حتى تصبح صلبة فيما بعد فيمكن للعظام أن تلتئم بشكل صحيح دون أي تدخل جراحي[43].

ولقد عُرفت جراحة الجماجم "ثقب الجمجمة أو نقبها" وشاعت سواء في العالم القديم أو العالم الحديث، واختلف تأريخ بدايتها من مكان الى آخر، وإن كانت الغلبة تُرجعها الى بداية العصر الحجري الحديث

38 - Thornton, R., The transmission of knowledge in South African traditional healing, Africa ,79/1, 2009, P.17.
39 - Low, C., Khoe- San Ethnography, new animism and the interpretation of southern African rock art, South African Archaeological Bulletin, 69 (200), 2014, P.165, 169.
40 - Akarowhe, K., Traditional Medicine in Contextual African Society: On-Going Challenges, Open Access Journal of Oncology and Medicine, April 10, 2018, PP.1-3.
41 - Podolecka, A., Op.cit., P.147.
42 - Thornton, R., Op.cit., P.20.
43 - Gudger، E. W., Op.cit., pp.1861-1864.

المنارة للاستشارات
ww

إن لم يكن قبل ذلك، ففي شمال أفريقيا جاءت أدلة معرفة الانسان لهذه الجراحة منذ نهاية العصر الحجري القديم الأعلى وبداية العصر الحجري الوسيط حيث مرحلة الجمع والالتقاط، إذ ثبت معرفتها في الجزائر منذ حوالي 11000 – 12000ق.م[44] .

ربما ترجع أول الأدلة الموثقة التي وصفت هذه العملية الى 4000 ق.م، أما الجماجم التي عثر عليها وبها آثار اجراء هذه العملية فيرجع أقدمها طبقا لما ذكره Assina إلى الألف التاسع ق.م[45]، ولا زالت هذه الجراحة تُمارس حالياً بين بعض القبائل البدائية خاصة في وسط أفريقيا[46]، ويعتبر هذا الإجراء الجراحي بدائي طارئ يتم اللجوء اليه عندما تصاب الجمجمة من جراء تلقيها ضربة أو حادثة معينة، لإزالة الأجزاء المصابة من الجمجمة وتنظيف الدم الجاري تحتها[47].

ولقد أجريت دراسات عديده في قطاع عريض من الجبانات المصرية القديمة التي تؤرخ الفترة ما بين (3000 إلى 500 ق.م)، وزودتنا تلك الدراسات بمعلومات واسعه حول عمليات نقب الجمجمة، ولكن لم يكن من المعروف ما إذا كانت تلك العمليات نتيجة لأسباب مرضية أم لأسباب دينية[48].

---

[44] - Petrone1, P., Niola, M., Di Lorenzo, P., Paternoster, M., Graziano, V., Quaremba, G., & Buccelli, C., Early Medical Skull Surgery for Treatment of Post-Traumatic Osteomyelitis 5,000 Years Ago, PLOS ONE, DOI:10.1371, journal. pone.0124790 May 27, 2015, P.1.

45 - Assina, R., Christina E. Sarris, B.S., & Antonios Mammis, A., The history of craniotomy for headache treatment Neurosurg Focus 36 (4): E9, 2014, P.2.

[46] - Petrone1, P., Niola, M., Di Lorenzo, P., Paternoster, M., Graziano, V., Quaremba, G., & Buccelli, C, Op.cit., P.1.

47 - Dobanovački, D., Milovanović, L., Slavković, A., Tatić1, M., Mišković1, S. S., Škorić-Jokić, S., & Pećanac, M., Surgery Before Common Era (B.C.E.), www.onk.ns.ac.rs/Archive Vol 20, No. 1–2, July 2012, p.28.

48 - Zabihyan, S., Etemadrezaie, H., & Baharvahdat, H., The Origin of Cranial Surgery, in: World Neurosurgery, 74, (1), 2010, P.7.

المنارة للاستشارات
ww

8- أدوات الجراحة في عصور ما قبل التاريخ:

تم التعرف على بعض أدوات الطبيب في عصور ما قبل التاريخ من خلال عادات الدفن غير المعتادة، والبقايا الأثرية التي عثر عليها في بعض المواقع، فالعديد من الشامان كانوا يحتفظون بحقيبة من نوع ما يحملون فيه تماثيل إلهية، وأدوية، وأدوات تُستخدم في ممارسات العلاج وتكون هذه الأدوات مصنوعة من خامات طبيعية مثل عظام الحيوانات، والأصداف، وغالباً ما كان يستعمل عقد من خرز وودع مثقوب، وأحياناً تكون معه أحشاء حيوان، وأجزاء من أشجار، وتماثيل، وأقنعه وما إلى ذلك، هذه الأشياء تُخبر المتصل بطبيعة المشكلة التي يعاني منها المريض، وما هي الخطوات التي ينبغي أن يتخذها الأقارب لعلاجه، أو ما إذا كان ينبغي عليهم القيام بطقوس معينة لاسترضاء أرواح الأسلاف [49]. ولقد تأكدت طبيعة حقيبة الطبيب الساحر أيضاً من خلال ما عثر عليه في أحد المآوي الصخرية في وادي هونجروب بجنوب أفريقيا، إذ عثر على حقيبة جلدية لأحد الأطباء السحرة "الشامان" اشتملت على عقد من النحاس والحديد، وصدفة لحيوان رخوي وجزء من شكل حلقة صغيرة، تؤرخ تلك الحقيبة بالألف الثاني بعد الميلاد، الا انها تعد دليلا هام على استمرار هذا الموروث الثقافي التقليدي في علاج المرضى منذ عصور ما قبل التاريخ حتى ذلك التوقيت[50].

ولقد عثر على مثل هذه الأشياء في كهف بلومبوس بجنوب أفريقيا وهو يؤرخ بالعصر الحجري القديم الأوسط، عثر ضمن طبقاته الأثرية على العديد من النصال الحجرية والمدببات، وأجزاء صغيرة من المغرة الحمراء تحمل زخارف محزوزه، وأدوات عظمية، وحبات من القواقع المثقوبة وهي أدوات ذات صبغة طقسية[51].

واكتملت المعرفة حول الأشياء التي كان يستخدمها الطبيب الساحر في رحلة علاجه للمرضى من خلال ما عثر عليه في بعض المقابر، فكثيراً ما عثر على مقابر آدمية غريبة وغير معتادة الظهور لا سيما في الجبانات المصرية

---

[49] - Podolecka, A., Op.cit., PP.149-150.

50 - Kinahan, J., The Solitary Shaman: Itinerant Healers and Ritual Seclusion in the Namib Desert during the Second Millennium AD, Downloaded from https://www.cambridge.org/core. IP address: 41.182.62.102, on 24 Jul 2017, p. 563, fig.8.

51 - Henshilwood, C. S., & Dubreuil, B., The Still Bay and Howiesons Poort, 77–59 ka: Symbolic Material Culture and the Evolution of the Mind during the African Middle Stone Age, Current Anthropology, Vol. 52, No. 3 (June 2011), P.373.

المنارة للاستشارات
ww

المؤرخة بعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات، كان تفسيرها إبان الكشف عنها بسيط لا يحتمل أكثر من تأريخها ووصفها وصفاً صامتاً لا يسمح بمزيد من الافتراضات، ففي جبانة المحاسنة عثر في المقبرة رقم H23 على هيكل عظمي لرجل كان راقداً في تابوت خشبي وإلى الغرب من هذا التابوت عثر على اثنين من الكلاب، كانا قد كفنا بالحصير، ورقدا على ظهريهما، بينما وضعت على رأسيهما أشياء تقارب في شكلها تقليد لحزمة ثوم مغطاة بالطفل الأبيض، زودت المقبرة ببعض الأدوات الحجرية والمتاع الجنائزي[52]. ومن الجدير بالذكر أن الثوم كان له أهمية عظمى في مصر القديمة، وقد عثر على حبات الثوم (فصوصه) في القبور منذ عصر ما قبل الأسرات، كما عثر على رؤوسه وعروشه وحزم منه مربوطة بالحلفاء وخيوط الكتان في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي[53].

وعن التفسير المحتمل لهذه المقبرة: فربما كانت هذه المقبرة لأحد عظماء الصيادين الذين كانت تسند إليهم مهمة مساعدة القوم في الحصول على الصيد الوفير، حيث إنه لم تدفن معه كلابه فقط وإنما أسلحته أيضاً... وربما هي مقبرة لأحد الصفوة، كأن يكون "عراف القرية" الذي يلجأ اليه القوم كطبيب لشفاء المرضى، وربما أكدت حزمة الثوم "المقلدة" ذلك الافتراض نظرا لارتباط الثوم بطرد الثعابين وطرد الأرواح الشريرة.

– وفي جبانة "نخن" هيراكونبوليس عثر في إحدى المقابر الآدمية على سكين من الصوان وبقايا عظام آدمية كانت منفصلة ومكدسة في شكل كومة، ولم يعثر على الجمجمة ولكن عثر على اناء فخاري وضع بديلا عنها، وأسفل الإناء عثر على السكين وبقايا شعر الرأس[54]. المقبرة رغم بساطتها الا أنها تعد من المقابر غير المعتادة، فما الداعي لأن تستبعد الرأس عن باقي الجسد وأن يستعيض عنها بإناء فخاري؟ لا شك أن هذا كان له غرض مقصود، **ولو تم وضع الافتراضات لكان بالإمكان قول أنه:** كان للرأس أهميتها، فهي جزء يعبر عن الكل، ولو تم استبعاد الرأس لما تمكنت الروح من العودة الى صاحبها، فهي إذاً دفنة ربما كانت طقسية شعائرية ضمن ممارسات معينة

52 - Aryton, E.R. and Loat, pre – Dynastic Cemetery at El mahasna, London 1911, P. 21, 76.

53– وليم نظير، الثروة النباتية في مصر القديمة، القاهرة، 1970، ص 145.

54 - Friedman, R.,” He’s Got a Knife! Burial 412 at HK43”, in: Nekhen news, Vol. 16, 2004, P.8.

المنارة للاستشارات
ww

ارتبطت بالسحر في تلك الفترة، وربما كان لها صلة بأحد السحرة أو العرافين آنذاك، فقد يكون الغرض منها استبعاد الرأس تجنباً لروح هذا الشخص الذي لم تُستبعد رأسه فحسب، وإنما أزيلت فروة رأسه وهو أمر غير متعارف عليه ضمن عادات الدفن آنذاك.

9- رحلة علاج الطبيب الساحر كما أظهرتها الرسوم الصخرية:

تنوعت النقوش والرسوم الصخرية التي أظهرت الطبيب الساحر أو عراف القبيلة "الشامان" من حيث هيئته ومكانته وسط أفراد القبيلة، سواء في صحاري مصر الشرقية والغربية[55] أو في العديد من مواقع شمال ووسط وجنوب أفريقيا، ففي الصحراء الغربية جنوب غرب مصر عثر في أحد كهوف وادي كركور غرب العوينات[56] على العديد من الرسوم الصخرية لهيئات آدمية رسمت باللون الأحمر، صور البعض منهم بأغطية للرأس من القرون الحيوانية (الشكل: 2) تؤرخ تلك الرسوم بـ 3000 ق.م[57].

- وعن تفسير تلك الرسوم فربما كانت الهيئات الآدمية ذات القرون الحيوانية هي الطبيب الساحر "شامان" أو عراف القرية ومن معه من أُناس يشاركوه رحلة العلاج الروحي من خلال الرقص السحري الذي يقومون به، تمهيداً لدخوله عالم اللاوعي حيث مقابلة الأرواح والاندماج معها أو التحول اليها، لاسيما وأن المنظر صور مجموعه من الهيئات الادمية تقف في حلقة أو شبه دائرة، كل شخص منهم يؤدي بيديه حركة معينة توحي بوجود أصوات على إيقاع نغماتها تأتي الحركات بطريقة تلقائية.

وفي كهف الوحوش بهضبة الجلف بالصحراء الغربية عثر على مناظر عديدة تبين العلاقة بين عالم الموتى "الأرواح" وعالم الأحياء وذلك من خلال رسم الفنان أحياناً للصورة وانعكاسها كما في (شكل:3) الذي يُظهر

55 - Suková, L., the rock art of northeast Africa: a case study of rock paintings from the Czechoslovak concession in lower Nubia, Theses to Dissertation, Charles University in Prague, Faculty of Arts, Czech Institute of Egyptology, 2014, P.4.

56 - d'Huy, J., & Le Quellec, J., Du Sahara au Nil: la faible représentation d'animaux dangereux dans l'art rupestre du désert Libyque pourrait être liée à la crainte de leur animation, Cahiers de l'AARS, N° 13, 2009, P.89.

57 - Greer, M., & Greer, J., ARARA Members Visit Rock Art of the Western Egypt Desert, La Pintura, Volume 34, Number 1, September 2007.

المنارة للاستشارات
ww

هيئات آدميه صورت حول شق صخري، وأسفل هذا الشق رسم الفنان انعكاس للهيئات الآدمية المرسومة أعلى الشق وكأنها مرآة تُظهر انعكاس الصورة، وما كان ذلك الا تصوير لعالم الروح وعلاقته بعالم الأحياء[58].

ولقد جاء ضمن الرسوم الصخرية بكهف السباحين بوادي صورا بالصحراء الغربية ما عبر ذلك، من خلال ما صوره الفنان من هيئات آدمية بسيطة بالنمط الخطي، صورها وكأنها تسبح في الفضاء، جاءت تلك الهيئات الآدمية برفقة طبعة يد صورت بحجم كبير[59] وربما عبرت تلك الهيئات الآدمية عن الأرواح الهائمة التي يعبر خلالها الشامان أو الطبيب الساحر في رحلته كوسيط بين عالم البشر وعالم الروح، وربما كانت طبعة اليد المصورة بحجم أكبر من حجم الهيئات الآدمية؛ هي طبعة يد ذلك الشامان الذي كان دوره إيقاف غضب الأرواح الشريرة والتغلب عليها.

وفي شمال أفريقيا عثر على العديد من الرسوم الصخرية التي أظهرت بوضوح رحلة علاج الطبيب الساحر للمرضى من خلال الانتقال الروحي، ففي منطقة تاسيلي بالجزائر صُور "الشامان" في رحلة العلاج الروحي بسمات واضحة لا تخلو من غرابة (الشكل: 4) برفقة الإله الذي عبر عنه الفنان بهيئة كبيرة الحجم بارتفاع يصل لحوالي ثلاثة أمتار، ولقد أظهرت تلك المناظر حركات معينة كان يؤديها الشامان توحي بنوع من الرهبة بما يؤكد التوظيف الروحاني للمنظر [60]. وفي جنوب أفريقيا يصور الفن الصخري في أفريقيا ما هو معروف في ثقافة سان اليوم باسم "الرقص العظيم"، رقص الغيبوبة الشامانية وهو أحد الطرق المستخدمة في الشفاء، والحصول على الصيد الوفير [61] إذ يعد الرقص وسيلة لتخفيف حدة التوترات الاجتماعية، ووسيلة للتقرب من الأرواح في رحلة الشامان نفسها بين الوحوش وأرواح الأسلاف التي تتقابل مع الراقصين في رحلاتهم خارج جسمهم، وكلها من مسببات الشفاء[62]، وفي صحراء ناميبيا الممتدة لمسافة 2000كم بطول الساحل الجنوبي الغربي

58 - De Flers, P., & Le Quelle, J., Prehistoric swimmers in Sahara, 2005, P.56.
59 - Greer, M., & Greer, J., Op.cit., P.2.
60 - TARA, the dawn of imagination, Rock art in Africa, Trust for African Rock Art, 2005. P.10.
61 - Bahn, P. G., bow and errors, in: Steberglokken, H., Berge, R., Lindgaard, E., & Stuedal, H. V., (edit.), ritual landscapes and borders within rock art research, Oxford, 2015, P.62.
62 - Podolecka, A., Op.cit., P.147, 156.

المنارة للاستشارات
ww

لأفريقيا [63]، عثر على العديد من الرسوم الصخرية التي أوضحت الشامان أثناء رحلة علاجه الروحاني للمرضى، وارتحاله في عالم الأرواح كوسيط في منظومة من تفاصيل تجمع بينه وبين العديد من الأفراد[64]. وأغلب النقوش الصخرية بجنوب أفريقيا تؤرخ بنهاية العصر الحجري فيما عُرف بعصر الجمع والالتقاط[65]. ومن كل هذه الرسوم الصخرية يتبين الارتباط بين الدور الديني والسحري والاجتماعي للطبيب الساحر في أفريقيا "الشامان" خلال عصور ما قبل التاريخ[66].

10- قناع الطبيب الساحر "الشامان" وأهميته:

ارتبط السحر بالدين خلال عصور ما قبل التاريخ ووضح ذلك جلياً من خلال النقوش الصخرية سواء في شمال أو جنوب أفريقيا[67].وقد لعب القناع لاسيما الحيواني دور هام في رحلة علاج الطبيب الساحر، وانتقال الروح منه الى الحيوان الذي يرتدي قناعه أو العكس "التقمص والاندماج الروحي" وعبر الفنان عن ذلك في العديد من النقوش الصخرية[68] ففي هضبة "ميساك ميليت" بجنوب غرب ليبيا في شمال أفريقيا عثر على العديد من النقوش الصخرية التي أوضحت دور الطبيب الساحر وهيئته التي كان عليها، ففي أحد المناظرُ صور الطبيب الساحر "الشامان" مرتدياً جلد حيوان وقناع بهيئة رأس حمار، ومعه شخص أخر صُور بنفس هيئته[69]. وفي قبيلة "زولو" المجاورة لمنطقة "سان" الجنوبية عُرف دور الطبيب الساحر بوضوح، وهو نفس الدور الذي عُرف في سان "معالج القبيلة والوسيط الروحي" الذي يربط بين الأحياء وعالم الأرواح، وكثير ما صور بهيئة تجمع بين الآدمية والحيوانية تأكيداً على قداسته وتبجيله[70].

---

63 - Kinahan, J., Op.cit., P.555.
64 - Ibid., P.556, Fig.2.
65 - Maggs, T., Op.cit., PP13-14.
66 - Ewis-williamts, D., Op.cit., p.277.
67 - Smith, C. D., Op.cit., P.55.
68 - Sirko, R., The Artist and the Shaman: Seen and Unseen Worlds, Inner Visions: Sacred Plants, Art and Spirituality, An Exhibition of Art Presented by the Brauer Museum, Luna, L. E., (Curated), Valparaiso University, 1989, P.37.
69 - Jolly, P., Therianthropes in San Rock Art, The South African Archaeological Bulletin, Vol. 57, No. 176 (Dec. 2002), pp. 89-90.
70 - Jolly, P., 2002, P.90.

المنارة للاستشارات
ww

وفي كيب الشرقية جنوب أفريقيا عثر على العديد من الرسوم والنقوش الصخرية التي أظهرت الطبيب الساحر في رحلة انتقاله الروحية أثناء قيامه بممارسات طقسية مرتدياً قناعاً بهيئة وعل، ويداه مشدودتان الى الخلف بينما الرأس إلى الأمام في مواجهة شخص آخر ربما كان المريض الذي يبغي هذا الساحر شفاءه (الشكل:5)، وفي منظر آخر بـ "كيب الشرقية" أيضاً نرى شخصاً صُور واضعاً على ظهره جلد ظبي أو وعل جبلي صغير، تمهيدا لانتقال الروح بينه وبين هذا الحيوان في رحلة العلاج الروحي[71] (الشكل:6) هذا بخلاف العديد من المناظر الأخرى التي أظهرت بوضوح ذلك التحول الروحي والانتقال بالروح من عالم البشر إلى عالم الأرواح من خلال تقمص هيئات حيوانية معينة في إطار من الرقص الطقسي السحري.

11– أهمية اللون في العلاج:

وضحت أهمية الألوان في مصر وأفريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ، فللألوان تأثير نفسي وعضوي لا يمكن انكاره[72]، وثبت ذلك من خلال ما عثر عليه من رسوم صخرية في مصر والعديد من مواقع شمال ووسط وجنوب أفريقيا، هذا بخلاف ما عثر عليه من أجزاء من خامات طبيعية كانت مصادر أساسية لاستخراج الألوان مثل خام الهيماتيت الحديدي (الأكر) وأجزاء من ألوان ذات لمعه لافتة وذلك بالقرب من أنهار توين بزامبيا، استخدمت هذه الخامات في تلوين الأشياء والأجسام والأسطح، وعثر في صحراء كلهاري على العديد من الرسوم الصخرية التي تؤرخ بمرحلة الصيد والالتقاط، لونت بمثل هذه الأصباغ، وكانت أول النقوش الصخرية هناك قد أُرخت بـ 70.000 ق.م، ويمكن القول أن انسان الهوموسابينس كان قد استخدم هذه الأصباغ لتلوين جسمه وتلوين رسوماته ومصنوعاته، وقد عثر على العديد من الرسوم الصخرية التي تؤرخ بالعصر الحجري القديم الأعلى في أفريقيا

[71] - Jolly, P., Op.cit., PP.90-91.

[72] – تامر فؤاد أحمد فؤاد الرشيدي، رمزية الألوان ودلالتها في العمارة والفنون المصرية القديمة حتى نهاية عصور الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2004، ص 22.

المنارة للاستشارات
ww

تؤكد ذلك[73] ولقد كان للطبيب الساحر ألوانه المفضلة المرتبطة بعلاج المرضى، فقد كان يستعمل خياله في خلق عالم يحيط به مستخدماً ألوان معينة كان أهمها (الأبيض، الأزرق، الأصفر، الأسود والأحمر)، وهي من أول الألوان التي استخدمت لاسيما في جنوب أفريقيا، حيث ظهرت هناك منذ حوالي 50.000 ق. م[74] وفي اعتقاد الطبيب الساحر أنه لو أُسيئ استخدام اللون أدى ذلك الى ضرر بالغ[75].

وحول رمزية اللون في الطب الأفريقي؛ فالأسود والأحمر كانا يستخدمان لطرد ما هو سيئ من الجسم، وكذلك تقوية ومنع الجسم من الهجمات المستقبلية، من أجل استعادة الصحة الجيدة، وهذا أحد أهم المعايير التي يستخدمها الممارسون الزولو في تشخيص وشفاء المرضى.[76] ويبين (شكل:7) جزء من منظر من جبل التنين في وادي هونجروب بسلسلة جبال دوروس بجنوب أفريقيا، حيث نرى هيئات مختلفة للشامان تنوعت بين ثنائية اللون، ومتعددة الألوان، وكأن الفنان أراد بهذا التنوع التعبير عن العالمين؛ العالم الواقعي والعالم الغيبي[77].

وكثيرا ما صورت الهيئات البشرية وقد زخرفت أجسامهم ولونت بما يشبه الوشم، وهي عادات لازالت معروفة هناك حتى اليوم، ترتبط بمعتقدات عن إبعاد الأرواح الشريرة والحماية[78].

12- الخاتمة وأهم النتائج:

- تعد مصر وأفريقيا بمثابة متحف مفتوح، وكتاب تتحدث صفحاته عن الحضارة الإنسانية بوجه عام، وحضارة انسان عصور ما قبل التاريخ بوجه خاص، سواء من خلال الأدلة الأثرية، أو من خلال دراسة حياة القبائل البدائية الحالية، فمن هذا وذاك تم التعرف على طبيعة وتوصيف الطب ودور الطبيب الساحر أو الشامان خلال عصور ما قبل التاريخ.

---

73 - Wildgen, W., The Paleolithic origins of art, its dynamic and topological aspects, and the transition to writing, Contribution to the workshop on semiotic evolution & the dynamic of culture Groningen (NL), 23rd/24th November 2001, P.111.

74 - Godlove, H.I., The Earliest Peoples and their Colors, London, 2011, P.9.

75 - Sirko, R., Op.cit., P.35.

76 - Berglund, A. I., Zulu Thought-Patterns and Symbolism, Uppsala 1976, P.136.

77 - Kinahan, J., Op.cit., P.556, Fig.2.

78 - Ibid., P.557.

المنارة للاستشارات
ww

- إن الطبيب الساحر "الشامان" في عصور ما قبل التاريخ هو الوسيط بين عالم الروح، والمريض، وهو المعبر عن سبب المرض من خلال ما يأتي به من أفعال، باعتبار أن لديه القدرة على عكس الآلام التي تسببها الأرواح لهذا المريض.
- ارتبط التحول الروحي في رحلة علاج المرضى بارتداء الشامان لأقنعه وغطاء للرأس بهيئات حيوانية، حتى يتمكن بسهولة من الدخول في عالم الروح والتحول الى عالم الآلهة دون معوقات وهذا ما أظهرته العديد من الرسوم الصخرية.
- ارتبط السحر بالطب والعلاج سواء في مصر أو في أفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ.
- كانت عملية ثقب الجمجمة "التربنة" من أولى العمليات الجراحية التي عرفها الانسان خلال عصور ما قبل التاريخ، وكانت تتم بغرض الشفاء من آلام الرأس أو عند إصابة الجمجمة بجروح أو كسور، وكان الاعتقاد بأن القيام بها يؤدي الى الشفاء من خلال طرد الروح الشريرة وإخراج الدم الفاسد.
- عبرت الرسوم والنقوش الصخرية عن الطبيب الساحر، وعن الممارسات التي كان يؤديها والتي كان من خلالها ينتقل من عالم البشر الى عالم الروح الغيبي بتقمصه احدى الهيئات الحيوانية حتى تحل روح السلف فيها، فيسهل بذلك مقابلته لأرواح الأسلاف واسترضائها حتى ترفع أذاها عن الشخص المريض.
- استخدم الانسان منذ عصور ما قبل التاريخ الدواء الطبيعي سواء النباتي أو الحيواني، واستخدمه في علاج الكثير من الأمراض معتمداً على الخبرة والتجربة.
- كان للون دلالته الرمزية في عقيدة الطبيب الساحر في العديد من المجتمعات الأفريقية منذ عصور ما قبل التاريخ، وكان الأبيض والأسود والأحمر والأصفر هي أكثر الألوان استخداما سواء في الرسوم الصخرية أو في الأغراض العلاجية لبعض الأمراض.
- لازال دور الطبيب الساحر "الشامان" معروف لدى الكثير من القبائل البدائية في وسط وجنوب أفريقيا وبعض المجتمعات الأخرى التي اعتبرت العلاج الروحاني من أهم طرق ووسائل الشفاء.

13- الملاحق:

المنارة للاستشارات
ww

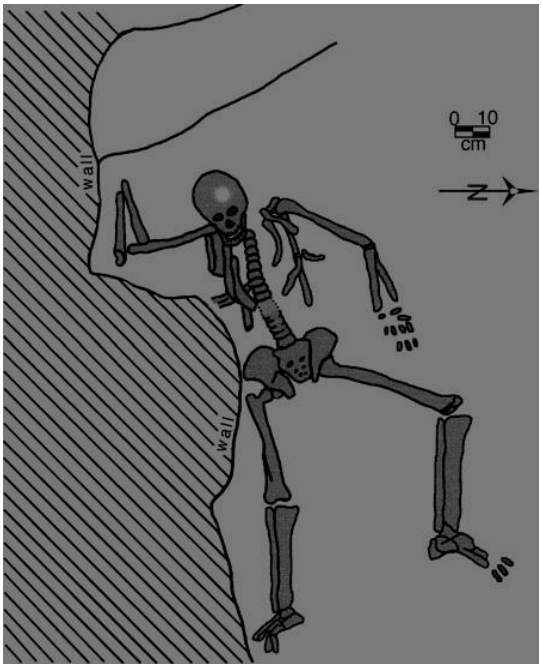

الشكل 1: هيكل عظمي لأحد الشامان (ربما كان امرأة) ويتضح بالصورة وقوع نوع من العقاب عليها بقذفها ثم دفنها.

- Lucero, L.J., & Gibbs, S.A., Op.cit., p. 61, fig. 3.6.

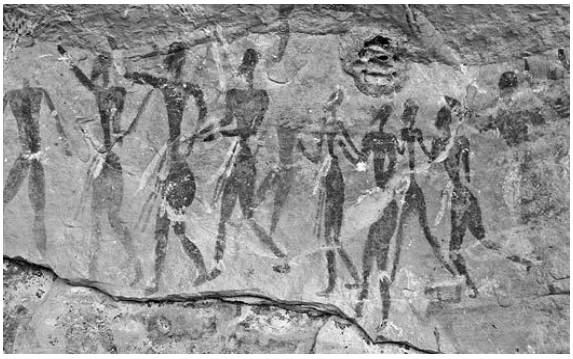

الشكل 2: هيئات آدمية ملونة بالأحمر – وادي كركور – الصحراء الغربية جنوب غرب مصر

Greer, M., & Greer, J., OP.cit., P.3.

المنارة للاستشارات
ww

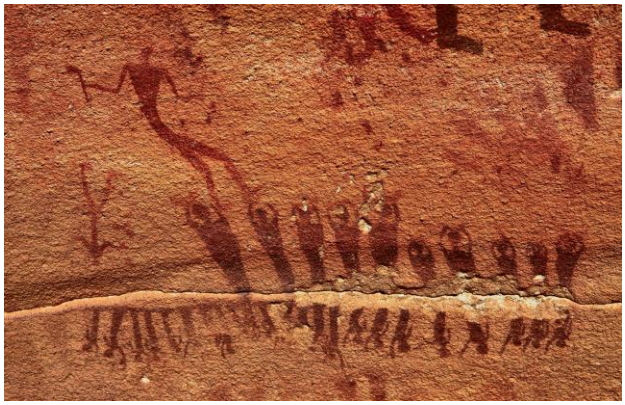

الشكل 3: منظر مرسوم حول شق في الصخر يبين الصورة وانعكاسها أو ربما يبين عالم الموتى وعالم الأحياء– كهف الوحوش.

Barta, M., & Frouzm M., Swimmers in the sand On the Neolithic Origins of Ancient Egyptian Mythology and Symbolism, Dryada, 2010, p.95, Fig. 14.

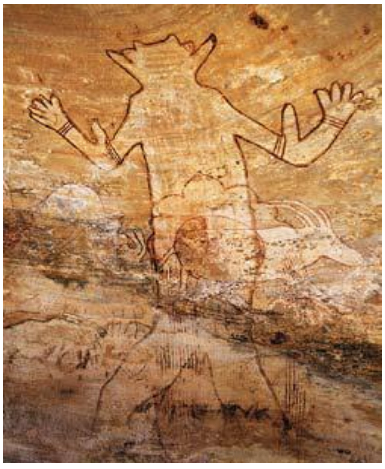

الشكل 4: الإله في رحلة العلاج الشامانية – تاسيلي– الجزائر

TARA, the dawn of imagination, Rock art in Africa, Trust for African Rock Art, 2005, p.10.

المنارة للاستشارات
ww

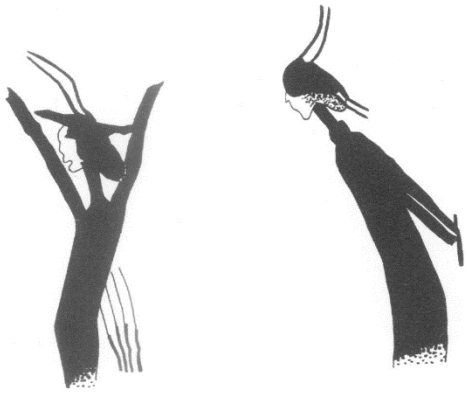

الشكل 5: الطبيب الساحر أثناء عملية الاتصال الروحي مرتدياً قناع بهيئة وعل– كيب الشرقية جنوب أفريقيا
- Jolly, P., Op.cit., Fig.10.

الشكل 6: رجل حاملا على ظهره جلد ظبي أو وعل جبلي في عملية انتقال الروح لهذا الحيوان – كيب الشرقية جنوب أفريقيا
- Jolly, P., Op.cit., Fig.12.

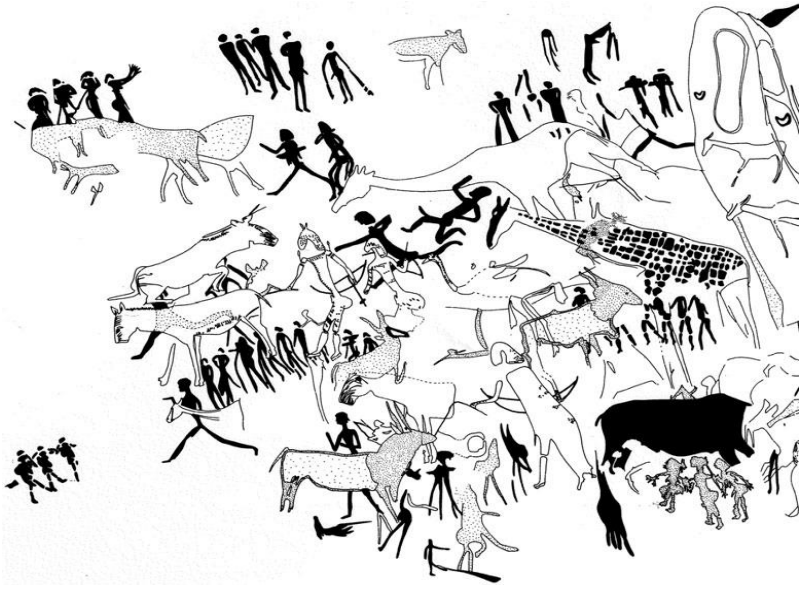

الشكل 7: هيئات مختلفة للشامان تنوعت بين ثنائية اللون، ومتعددة الألوان– جبل التنين في وادي هونجروب بسلسلة جبال دوروس بجنوب أفريقيا.
- Kinahan, J., Op.cit., p. 556, fig.2.

المنارة للاستشارات
ww

14– البيبليوغرافيا:

أولا: قائمة المراجع باللغة العربية

- أسامة فريد مصطفى عثمان، الأقنعة واستخداماتها في مصر الفرعونية، دراسة أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة المنوفية، 2011.
- الهام حسين يونس محمد، التمائم المصرية القديمة في الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاثار، جامعة القاهرة، 1992.
- تامر فؤاد أحمد فؤاد الرشيدي، رمزية الألوان ودلالتها في العمارة والفنون المصرية القديمة حتى نهاية عصور الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2004.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج 11، بيروت، 2001.
- حبيب سعد ، أديان العالم، القاهرة، (د.ت).
- حسن محمد عطية، الفن والحياة الاجتماعية، القاهرة، 1994.
- رياض رمضان العلمي، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم، الكويت، 1988.
- عبد المنعم سيد أحمد، الأطباء في مصر القديمة، المؤتمر الدولي الرابع بعنوان الفكر في مصر عبر العصور، المجلد الثاني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، 2013.
- ليز مانكه، التداوي بالأعشاب في مصر القديمة، ط2، مترجم، القاهرة، 2008.
- وليم نظير، الثروة النباتية في مصر القديمة، القاهرة، 1970.
- يسر صديق أمين، قرابين الأضاحي في نصوص ومناظر الدولة الحديثة والعصور المتأخرة في مصر القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1987.

ثانيا: قائمة المراجع الأجنبية

- Adams, B, More Surprises in the Locality HK6 Cemetery, in: Nekhen News, Vol. 11, 1999.
- Akarowhe, K., Traditional Medicine in Contextual African Society: On-Going Challenges, Open Access Journal of Oncology and Medicine, April 10, 2018.
- Aryton, E.R. and Loat, pre – Dynastic Cemetery at El mahasna, London 1911.

المنارة للاستشارات
ww

- Assina, R., Christina E. Sarris, B.S., & Antonios Mammis, A., The history of craniotomy for headache treatment Neurosurg Focus 36 (4): E9, 2014.
- Bahn, P. G., bow and errors, in: StebergIØkken, H., Berge, R., Lindgaard, E., & Stuedal, H. V., (edit.), ritual landscapes and borders within rock art research, Oxford, 2015.
- Barta, M., & Frouzm M., Swimmers in the sand On the Neolithic Origins of Ancient Egyptian Mythology and Symbolism, Dryada, 2010.
- Berglund, A. I., Zulu Thought-Patterns and Symbolism, Uppsala 1976.
- D Forrest, R., Early history of wound treatment, Journal of the Royal Society of Medicine, Volume 75, March 1982.
- d'Huy, J., & Le Quellec, J., Du Sahara au Nil: la faible représentation d'animaux dangereux dans l'art rupestre du désert Libyque pourrait être liée à la crainte de leur animation, Cahiers de l'AARS, N° 13, 2009.
- De Flers, P., & Le Quelle, J., Prehistoric swimmers in Sahara, 2005.
- Dobanovački, D., Milovanović, L., Slavković, A., Tatić1, M., Mišković1, S.S., Škorić-Jokić, S., & Pećanac, M., Surgery Before Common Era (B.C.E.), www.onk.ns.ac.rs/Archive Vol 20, No. 1–2, July 2012, p.28.
- Ewis-williamts, D., Dowson, T. H., & Deacon, J., Rock art and changing perceptions of southern Africa's past: Ezeljagdspoort reviewed, Antiquity, 67, 1993, pp. 273-91.
- Friedman, R.," He's Got a Knife! Burial 412 at HK43", in: Nekhen news, Vol. 16, 2004.
- Godlove, H.I., The Earliest Peoples and their Colors, London, 2011.
- Greer, M., & Greer, J., ARARA Members Visit Rock Art of the Western Egypt Desert, La Pintura, Volume 34, Number 1, September 2007, pp.1-16.
- Gudger، E. W., "Stitching Wounds with the Mandibles of Ants and Beetles", in: Journal of American Medical Association, Vol.84, No.24, 1925, pp.1861-1864.
- Haidan Yuan, H., Ma, Q., Ye, L., & Piao, G., the Traditional Medicine and Modern Medicine from Natural Products, Molecules, 2016.
- Henshilwood, C. S., & Dubreuil, B., The Still Bay and Howiesons Poort, 77–59 ka: Symbolic Material Culture and the Evolution of the Mind during the African Middle Stone Age, Current Anthropology, Vol. 52, No. 3 (June 2011), pp. 361-400
- Hoppàl, M., shamans and symbols prehistory of semiotics in rock art, Budapest, 2013.
- Jolly, P., Therianthropes in San Rock Art, The South African Archaeological Bulletin, Vol. 57, No. 176 (Dec. 2002), pp. 85-103

المنارة للاستشارات
ww

- Kinahan, J., The Solitary Shaman: Itinerant Healers and Ritual Seclusion in the Namib Desert during the Second Millennium AD, Downloaded from https://www.cambridge.org/core. IP address: 41.182.62.102, on 24 Jul 2017 at 15:27:25.
- Lahelma, A., A Touch of Red: Archaeological and Ethnographic Approaches to Interpreting Finnish Rock Paintings, Suomen Muinaismuistoyhdistys ry - Finska Fornminnesföreningen rf The Finnish Antiquarian Society, ISKOS, 15, Helsinki, 2008.
- Lewis-WilIiams, D., Reality and Non-reality in San Rock Art, Witwatersrand, 1988.
- Lewis-WilIiams, D., Rock art and ritual: Southern Africa and beyond, Complutum, 5, 1994: 277-289
- Low, C., Khoe- San Ethnography, new animism and the interpretation of southern African rock art, South African Archaeological Bulletin, 69 (200), 2014, pp.164–172.
- Lucero, L.J., & Gibbs, S.A.,The Creation and Sacrifice of Witches in Classic Maya Society, in:(Vera Tiesler & Andrea Cucina, ed.,) new perspectives on human ritual sacrifice and ritual body treatments in ancient Mayan society, 45-73, New York, 2007.
- Lukaschek, K., The History of Cannibalism, Thesis submitted in fulfilment of the MPhil Degree in Biological Anthropology, University of Cambridge, UK, Lucy Cavendish College, 2000/2001.
- Maggs, T., Cartographic Content of Rock Art in Southern Africa, in Woodward, D., & Lewis, T., (eds.), Cartography in the Traditional African, American, Australian and Pacific Societies, Vol.2, Book 3, Chicago, 1998.
- Peters, L. G., Shamanism: phenomenology of a spiritual discipline, The Journal of Transpersonal Psychology, Vol. 21, No.2 115, 1989.
- Petrone1, P., Niola, M., Di Lorenzo, P., Paternoster, M., Graziano, V., Quaremba, G., & Buccelli, C., Early Medical Skull Surgery for Treatment of Post-Traumatic Osteomyelitis 5,000 Years Ago, PLOS ONE, DOI:10.1371, journal. pone.0124790 May 27, 2015, pp. 1-22.
- Podolecka, A., Sangomas, Shamans and New Age: The Hybridity of some Modern Healing and Esoteric Practices and Beliefs in South Africa, Rocznik Orientalistyczny, T. LXIX, Z.1, 2016, pp. 142-157.
- Sirko, R., The Artist and the Shaman: Seen and Unseen Worlds, Inner Visions: Sacred Plants, Art and Spirituality, An Exhibition of Art Presented by the Brauer Museum, Luna, L. E., (Curated), Valparaiso University, 1989.

المنارة للاستشارات
ww

- Smith, C. D., Cartography in the Prehistoric Period in the Old World: Europe, the Middle East, and North Africa, in: Harley, J. B., & Woodward, D., (eds.), Chicago, 1987.
- Stemp, W.J., Wrobel, G.D., Haley, J., & Awe, J.J., (2015). Ancient Maya stone tools and ritual use of Deep Valley Rockshelter, Belize. Journal of Cave and Karst Studies, v. 77, no. 1, p. 1–11.
- Subbarayappa, B.V., The roots of ancient medicine: an historical outline, J.Biosci., Vol., 26 , No. 2 , June 2001.
- Suková, L., the rock art of northeast Africa: a case study of rock paintings from the Czechoslovak concession in lower Nubia, Theses to Dissertation, Charles University in Prague, Faculty of Arts, Czech Institute of Egyptology, 2014.
- Sutcliffe, J., & Duin, N., prehistoric health, in: A History of Medicine from prehistory to the year 2020, New York, 1992.
- TARA, the dawn of imagination, Rock art in Africa, Trust for African Rock Art, 2005.
- TARA, the dawn of imagination, Rock art in Africa, Trust for African Rock Art, 2005.
- Thornton, R., The transmission of knowledge in South African traditional healing, Africa ,79/1, 2009.
- Wildgen, W., The Paleolithic origins of art, its dynamic and topological aspects, and the transition to writing, Contribution to the workshop on semiotic evolution & the dynamic of culture Groningen (NL), 23rd/24th November 2001.
- Zabihyan, S., Etemadrezaie, H., & Baharvahdat, H., The Origin of Cranial Surgery, in: World Neurosurgery, 74, (1), 2010.

المنارة للاستشارات
ww